

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَوَجِّهَاتٌ وَنَصَائِحٌ فِي خِتَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . نسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا وبأنه الله الذي لا إله إلا هو أن يجعلنا أجمعين من الغانمين الفائزين الراجحين في هذا الموسم المبارك العظيم الذي شارف على الانقضاء وأوشك على الانتهاء .

مرّت أيام هذا الشهر المبارك ولياليه العظيمة مروراً سريعاً ، قبل أيام قلائل يتباشر المسلمون في كل مكان بدخول هذا الشهر العظيم والموسم المبارك ولكن صدق الله جل في علاه ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة: 184] ؛ قالوا في معنى قول الله عز وجل ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ وهذا من جموع القلة كما لا يخفى ، سواء كلمة «أيام» أو كلمة «معدودات»، مع أنه شهر كامل ثلاثون يوم أو تسعة وعشرون يوماً ، الشهر لا يزيد عن الثلاثين ولا ينقص عن التسعة والعشرين ومع ذلك قال ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ ! لأن الله سهّلها على العباد ويسرّها عليهم ، ما جعل سبحانه وتعالى عليهم في الدين من حرج ، لكن ثمة معنى آخر أيضاً يمكن أن يكون مستفاداً من هذه الآية وهو سرعة انقضاء هذه الأيام كما نستشعره في هذه اللحظات ، فقبل أيام قلائل كنا نحن بعضنا باستقباله ، والآن على مشارف توديعه وانقضائه ، ولكن من أكرمه الله سبحانه وتعالى وذللّ له الطاعة ويسرّها له في هذا الموسم العظيم فإنه قد حصل غنيمة عظيمة ومباركة ، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى عليه وتيسيره ومنه سبحانه وتعالى ، فإذا كان اعتنى بأنواع من الطاعات في هذا الشهر مع محافظته على الفرائض وأعظمها في رمضان الصلاة المكتوبة والصيام المكتوب؛ فإذا اعتنى مع ذلك بالسنن والרגائب والنوافل والمستحبات وأعظمها قيام الليل وصلاته جماعةً ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ -يعني في صلاة الليل في رمضان- حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامٌ لَيْلَةً)) ، فالذي أكرمه الله عز وجل بالمحافظة على صلاة التراويح مع الجماعة في المساجد حتى ينصرف الإمام وتنقضي الصلاة فهذا كُتب له قيام الليل في رمضان كله ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) ، وإذا كان مواظباً على قيام كل ليلة من ليالي رمضان فهو يقيناً أدرك قيام ليلة القدر وفيها أيضاً حديث خاص ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) .

ولهذا ؛ فإن شهر رمضان شهر غفران للذنوب ، ينبغي على المسلم أن يتحرى لنفسه ذلك في رمضان ، موسم عظيم للغفران ، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ أُنْسِلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ)) لأنه موسم من أعظم مواسم الغفران ، وهو في الوقت نفسه من أعظم مواسم العتق من النار ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح في ذكر فضائل رمضان قال عليه الصلاة والسلام: ((وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلُّ

لَيْلَةٍ))، فكل ليلة من ليالي رمضان لله فيها عتقاء تُعتق فيها رقابهم من النار تُكتب لهم البراءة والنجاة من النار ، انظر هذه الفضيلة ما أعظمها ، ولهذا لا يزال الطمع في قلب المسلم في كل ليلة منه ليالي رمضان أن يكون من العتقاء وهو يُري ربه سبحانه وتعالى من نفسه خيراً بإصلاح العمل ومجاهدة النفس على الطاعة تحرياً لنيل هذا الغفران والفوز برضوان الله سبحانه وتعالى .

وكما أن رمضان بابٌ عظيم لنيل الغفران فهو أيضاً باب عظيم لنيل الرضوان ؛ رضوان الله سبحانه وتعالى ، لمحبة الله عز وجل لهذه العبادة وللقرب التي تكون في هذا الشهر العظيم ، لأن هذا الشهر له خصوصية والله عز وجل يختص من الأزمنة ما شاء بمزيد فضله وعظيم منّه وتشريفه سبحانه وتعالى ، ورمضان هو خير الشهور وأعظمها وأجزلها خيراً وبركة ، ولهذا جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ)) الصائم له فرحتان فرحة معجلة وفرحة مؤجلة ، واحدة في الدنيا وواحدة في الآخرة. أما المعجلة ؛ فعند فطره يفرح المسلم عند الفطر من جهتين : من جهة إكرام الله سبحانه وتعالى له ومنّته عليه بإكمال وإتمام العبادة والوفاء بها ، ومن جهة أنه يطعم ويشرب ويأخذ ما مُنع منه في وقت الصيام ، مُنع من الطعام منع من الشراب ثم أطلق له مع أذان المغرب ذلك فيفرح ، أمره الله سبحانه وتعالى بالصيام فامتثل وانقاد وأطاع ربه سبحانه وتعالى ومولاه ثم أباح له الفطر ففرح واستبشر بنعمة الله سبحانه وتعالى عليه . ثم تأتي الفرحة الأعظم في هذه الحياة الدنيا في يوم العيد ، ويسمى العيد الذي بعد رمضان «عيد الفطر» لأنه عيد مرتبط بالصيام، فهو عيد الفطر من الصيام ، ولهذا يقال يومان متجاوران الأول يحرم الفطر فيه والثاني يحرم الصيام فيه ، وهما يومان متجاوران!! والله عز وجل يشرع ما يشاء ويأمر عباده بما فيه الخير لهم والفلاح والرفعة في الدنيا والآخرة. فيوم العيد يكون قد أكمل المسلم العدة وتّم الصيام والطاعة في هذا الشهر العظيم كاملاً . وحتى يستحضر عظم النعمة عليه إذا أكرمه الله سبحانه وتعالى بإكمال العدة ؛ كم من الأشخاص كانوا يطمعون في إدراك رمضان وحالت بينهم وبينه المنية ، وكم من أشخاص في أثناء رمضان صاموا بعضه وحالت المنية بينهم وبين إكمال العدة ، فإذا أكرم الله سبحانه وتعالى عبده بإكمال عدة الصيام فهذه من النعم العظيمة التي تستوجب شكر الله وتعظيم المنعم سبحانه وتعالى .

ولهذا تأمل -وهذا أمر مهم ينبغي أن نذكره ونحن في آخر شهر رمضان- قول الله عز وجل ﴿وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (185) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿[البقرة: 185-186] هذه أمور انتبه لها ، كلها لها تعلق بما نحن فيه من لحظات أخيرة من هذا الشهر العظيم المبارك ، فإكمال العدة -عدة الصيام- التي هي أيام معدودات كما وصفها الله سبحانه وتعالى بذلك هذه نعمة عظيمة ، وهي هداية من الله لعبده وتوفيق ﴿وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ هذه هداية ،

هداية من الله وفضل ومنّة إلهية يتفضل بها سبحانه وتعالى بهذه الهداية على من شاء من عباده ، فيستشعر المسلم هذه الهداية العظيمة التي منّ الله عليه به وتأمل في هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابة: «وَاللَّهِ لَوْ لَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا ضُمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا» ، لكن هذه هداية إلهية منّة ربانية يتفضل سبحانه وتعالى بها جل في علاه على من يشاء من عباده ؛ فيستشعر المرء هذه الهداية ويعظم الهادي جل في علاه مكبراً له معظماً للرب العظيم سبحانه وتعالى . ولهذا شرعت عبادة التكبير عند انقضاء العدة ، متى تنقضي عدة الصيام ؟ بغروب الشمس من ليلة العيد ، إذا غربت الشمس انتهت العدة ، فبمجرد ما تغرب الشمس وتنتهي العدة تبدأ عبادة التكبير تكبير الله سبحانه وتعالى على ما هدانا ؛ هدانا ومنّ علينا وتفضل فعظمه ، وتعظيم الله هذا من تقوى القلوب ، والصيام من أجل مقاصده تحقيق تقوى القلوب ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 183] ، ولهذا يعظم المسلم ربه ، وكان المأثور عن الصحب الكرام رضي الله عنهم في التكبير : «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر ، الله أكبر والله الحمد» ؛ هذه يكررها المرء ، يبدأ هذا التكبير من غروب الشمس من ليلة العيد الذي به تنقضي العدة وتتم ، وينتهي بصلاة العيد ، يستمر إلى صلاة العيد ، وصلاة العيد أيضاً فيها تكبيرات زوائد في أولها ؛ في أول الركعة الأولى وفي أول الركعة الثانية فيها تكبيرات زوائد ، فيكبر الله سبحانه وتعالى تعظيماً لجناحه العظيم مستشعراً منة الله جل وعلا عليه بهذه الهداية وفضل الله عليه .

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185] ؛ تشكرون المنعم المتفضل الهادي سبحانه وتعالى على فضله ومنّ هدايته لكم ، ولهذا ينبغي أن يُعلم ان يوم العيد يوم تكبير وحمد لله سبحانه وتعالى ، وصلاة العيد إقامتها هو تعظيم لله وتكبير وحمد لله تبارك وتعالى على ما أنعم وتفضل به على عباده . هذه الفرحة التي في الدنيا .

قال ((لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ)) ؛ الفرح الذي يوم لقاء الله سبحانه وتعالى هو فرح بنعيم الله ومنّ من جهة ، وفرح برضوان الله عز وجل على عباده من جهة ، والرضوان أكبر من النعيم ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: 72] ، ولهذا جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ! فَيَقُولُ: أَنَا أَعْطَيْتُكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ)) هم الآن في الجنة يستشعرون هذا النعيم وعظيم المنّة ثم يقال هل أعطيتكم أكبر من هذا الذي أنتم فيه؟ ((قَالُوا يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا)) ، هذا الرضوان أكبر ، مثل ما قال الله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿[التوبة: 72]﴾ . والصائم له نصيب عظيم من نيل الرضوان ، الصائم المحتسب الراجي موعود الله سبحانه وتعالى له فرحة عظيمة يوم لقاء الله عز وجل بثواب الرب ورضوانه سبحانه وتعالى على عباده ، قال ((الصَّيَّامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)) فالصائم له فرح ؛ فرح في هذه الدنيا ، وفرح في الدار الآخرة .

نرجع إلى قوله ﴿وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (185) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴿[البقرة: 185-186]﴾ أيضا ينبغي أن نستشعر أن يوم العيد يوم دعاء ، وأعظم ما يكون الدعاء في يوم العيد أن تسأل الله القبول لك ولإخوانك ؛ ولهذا مضت السنة من زمن الصحابة رضي الله عنهم إذا لقي المسلمون بعضهم بعضا يوم العيد قالوا «تَقَبَّلَ اللهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ» ، هذه سنة ماضية من زمن الصحابة رضي الله عنهم وهي أفضل ما تقوله لأخيك يوم العيد ، أفضل ما تقول لأخيك يوم العيد «تقبل الله منا ومنك» ، وهذا أيضا فيه أن المرء لا ينظر إلى عمله أنه عمل مكمل ووافي مهما بذل في رمضان ومهما اجتهد ، لا ينظر إلى عمله أنه عمل مكمل ووافي وتام مهما كان اجتهاده في الطاعات ، قال الله تعالى عن المؤمنين الكمل ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ أَهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: 60] وجلة : أي خائفة من أن تُرد أعمالهم ولا تقبل ، بهذا فسر النبي عليه الصلاة والسلام هذه الآية ؛ ففي المسند أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن معنى هذه الآية قالت: يا رسول الله أهو الرجل يزني ويسرق ويقتل ويخاف أن يعذب ؟ قال: ((لَا يَا بِنْتُ الصَّدِّيقِ ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ)) ، ولهذا من أهم ما يكون في يوم العيد الدعاء بالقبول ، تسأل الله عز وجل أن يتقبل منك وأن يتقبل من إخوانك المسلمين ، وخير ما يقال من تهنئة في يوم العيد الدعاء بالقبول لك ولإخوانك ، إذا لقيت أخاك تسأل الله لك وله «تقبل الله منا ومنكم» ؛ هذه سنة ماضية من زمن الصحابة الكرام في يومي العيد ؛ عيد الفطر وعيد الأضحى .

فإذاً يوم العيد يوم فرح ، ويوم حمدٍ وشكر ، ويوم تكبيرٍ وتعظيم ، ويوم دعاءٍ ورجاء ، ثم هو أيضا مظهر عظيم يعقب هذه الطاعة العظيمة للفرح الذي لا أشرف فيه ولا بطر ، لأنه فرح مرتبط بطاعة وعبادة ، ولكل أمة من الأمم أعياد ، أعياد ترتبط إما بعقائدهم أو أديانهم أو مذاهبهم أو آرائهم أو شهواتهم وملذاتهم أو غير ذلك ، لكن أمة الإسلام لها عيد يتميز عن كل الأمم ؛ عيد يرتبط بطاعة رب العالمين ، ولهذا العידان - عيد الفطر وعيد الأضحى - مرتبطتين بأكبر الطاعات أو بطاعتين هما من أكبر الطاعات الإسلامية أعظمها ؛ طاعة فريضة الصيام ، وطاعة فريضة الحج ، ولهذا هو يوم فرح بنعمة الله ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: 58] .

ولهذا ينبغي وهذا من أهم المظاهر التي ينبغي أن تكون ظاهرة بارزة يوم العيد جليلة؛ تحقيق الرابطة الإيمانية والأخوة الدينية ، لأن هذا العيد الذي يفرح به الجميع هو أثر الطاعة وأثر العبادة وثمرتها وفرحتها بها ؛ فينبغي أن يجتمع أهل الإسلام في عيدهم على الأخوة والإيمان والتآلف ، وأن يزجحوا عن قلوبهم ونفوسهم الشحناء والبغضاء والتعادي

والعدوان والتهاجر وغير ذلك يزيحوا ذلك عن نفوسهم ، وأن تكون فرصة العيد السعيد فرصة لالتئام القلوب ولم الشعث ونبد الفرقة والتباغض ، قد قال عليه الصلاة والسلام: ((لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)) ، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:10] ، قد يعرض للإنسان في أيامه ولقاءاته مع إخوانه قد تعرض أمور توجد في النفوس شيئا وقد ينمّي هذا الذي في النفس قد ينميه الشيطان وقد يكبر، قد يكبر على لا شيء ، أو يكبر على شيء يسير جدا لكن يعظمه الشيطان في النفوس فتبقى النفوس فيها ما فيها ؛ فالعيد فرصة لا طّراح هذه الأشياء ونبد التفرق والتباغض والتحاسد وغير ذلك من المظاهر السيئة التي لا تليق بالمسلم ولا تتفق مع الأخوة الإيمانية ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:10] ، ((المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ)) .

ولهذا ينبغي أن يستغل المسلم فرصة العيد السعيد وبهجته الجميلة على فرح ، وخير الناس المبادر المسارع إلى هذا الخير ، والشحناء لا خير فيها ، ولهذا جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيَغْفِرُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَيْنِ لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ)) إلا المتشاحنين الذين بينهما شحناء ، الشحناء هذه مضرّتها عظيمة جدا قال يُغْفَرُ إِلَّا الْمُتَشَاكِنِينَ ((فَيَقَالُ: اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا)) ، ولهذا ينبغي أن تستغل فرصة العيد لطرح الشحناء ، الشحناء ليست أثرها على من كانت بينك وبينه هذه الشحناء ، الشحناء كما ترى في الحديث ((أنظروا هذين يعني المتشاحنين)) التشاحن من طرفين ، التشاحن: هو شحن النفس بغیظ بحق بشدة ؛ بسبب مواقف معينة في الحياة الدنيا . قال ((حتى يصطلحا)) ، ولهذا العيد السعيد المبارك من أعظم أيام تحقيق هذا الاصطلاح والتآلف والتحاب ، لأن الناس فيه في بهجة عظيمة جدا . ولهذا حقيقة يُنصح بهذه المناسبة أن من كانت بينه وبين أحد من إخوانه شحناء أن يبادر وينتهز هذه الفرصة العظيمة لطرح هذه الشحناء ، وأيضا في هذا العيد لا ينبغي لإنسان يأتيه أخاه في هذا العيد السعيد البهيج يطلب مسامحته فيردّه ويُعرض عنه ، ينبغي أن نتصافى وأن نتسامح وأن نلين مع بعضنا وأن نجتهد ما استطعنا في تحقيق الأخوة العظيمة أخوة الدين ورابطة الإيمان التي هي أعظم الروابط وأوثقها وأشدها، والعيد فرصة عظيمة لتحقيق التواصل والصلة وتنمية المحبة والأخوة ، العيد يوم صلة وتواصل ، ومحبة وإخاء ، وألفة وجمال وبهاء ؛ فهذه المعاني ينبغي أن تكون ظاهرة في يوم العيد المبارك.

وهناك أحكام ثلاثة مهمة يجدر التذكير بها في تمام الشهر ، ثلاث أحكام أو ثلاث عبادات كلها تتعلق بتمام الشهر ألا وهي : زكاة الفطر ، والتكبير ، وصلاة العيد ؛ هذه ثلاث عبادات عظيمة تأتي في تمام الشهر ونهايته.

أما زكاة الفطر؛ فهذه فريضة كما جاء في الحديث في الصحيحين وغيرهما «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ» ، وجاء في الحديث الآخر حديث ابن عباس قال : «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ» . ونُخرج هذه الزكاة من الطعام لا نُخرج نقوداً ، إن أخرجها نقوداً فإنه لا يجزئ ، لو أعطى الفقير نقوداً حتى لو كانت أكثر من قيمة الطعام ، النقود لا تجزئ لأن الذي فرضه النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو الطعام «صاعاً من طعام» ، فمن أخرجها مالا نقوداً فهذا على غير عمل النبي عليه الصلاة والسلام ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)) . فهي إنما تُخرج من الطعام ؛ صاعاً من تمر أو صاعاً من زبيب أو صاعاً من أقط أو صاعاً من شعير ، أو أي شيء من الطعام مثل الأرز والدخن وغير ذلك ، صاعاً من طعام ، وكلما كان الطعام أشهى لأهل البلد وأرغب لنفوسهم وأحب إليهم وأكثر ألفة عندهم فيكون أفضل ، يراعي حاجة الناس المألوف عندهم لأنه قد يعطيهم طعاماً لا يرغبون فيه وما اعتادوا على أكله ، فيختار مكن الطعام ما كان محبوباً عند من يقدم لهم هذه الزكاة .

وهذه الزكاة -زكاة الفطر- هي طهرة للصائم يعني مطهرة له منقية له ، سبحانه الله قد يكون في صيامه نقص ، قد يعمل أشياء تنقص الصيام من لغو أو رفث ، وقد لا يسلم الإنسان من ذلك ؛ فتأتني هذه الزكاة يُخرجها المرء طيبةً بها نفسه فتكون طهرة له أي مطهرة ومنقية له مما كان منه في صيامه من لغو أو رفث . ولهذا ينبغي أن يستشعر المرء هذا المعنى العظيم أن في الزكاة تطهير له . وهي طعمة للمساكين ؛ يقدم لهم هذا الطعام يفرحون به ، ليس فقط في يوم العيد يفرحون به بعضهم يكون زاداً له ولأهله ولولده لمدة أشهر ، فيفرح يوم العيد فرحاً عظيماً بأنه أصبح عنده زاد غذاء له ولأولاده لشهرين ثلاثة أربعة ستة يطعم منه فيفرح بذلك ، فهي طعمة للمساكين .

يُخرجها المرء عن نفسه وعمن يعول من أهل وولد؛ عن الذكر والأنثى ، والحر والعبد ، والصغير والكبير ، والحمل الذي في البطن لا يُخرج عنه على سبيل الوجوب وإنما كما ذكر العلماء يخرج عنه استحباباً .

والمزكي يخرج زكاته وزكاة من يعول في المكان الذي يدركه آخر الشهر فيه فيخرجها عن نفسه وعن أهله ومن يعول، وإن أوصى أهله أن يخرجوها في بلده عنه وعنهم أيضاً أجزأ عنه ذلك ، والأمر في ذلك واسع .

ووقت إخراج زكاة الفطر : من غروب الشمس ليلة العيد إلى ما قبل الصلاة صلاة العيد ، وأفضل ما يكون قبل الصلاة ، ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين ؛ الثامن والعشرين التاسع والعشرين الثلاثين يجوز تعجيل إخراجها في هذا الوقت ، ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد ، وإن أخرها عمداً أثم ويلزمه أن يخرجها وتكون قضاءً . فيحرص المرء على هذه العبادة العظيمة ويحرص على انتقاء الطيب الجيد من الطعام يكرم به المساكين

المحتاجين ؛ تكون فرحة لهم وطعمة لهم وسعادةً وسرورا وزادًا لهم لأيام أو شهور ، ينتقي لهم الطيب من الطعام ، لا يبحث عن الرديء والأقل والأرخص والقديم ، بل يبحث عن الطيب ويرجو ما عند الله سبحانه وتعالى .

وأما عبادة التكبير فمرت الإشارة إليها وهي عبادة عظيمة جدًا ﴿وَتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: 185] ، وهي تعظيم لله عز وجل وصدقٌ بهذه الكلمات العظيمة كلمات التكبير «الله أكبر الله أكبر» أي لا أكبر من الله سبحانه وتعالى ، ولهذا جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعدي : ((مَا يُفْرَكُ)) يعني ما الذي يجعلك تفر عن الإسلام ؟ أيفرك أن يقال الله أكبر ؟ وهل شيء أكبر من الله ! فهذا التكبير هو تعظيم لله عز وجل واعتقاد أنه لا أكبر منه سبحانه وتعالى ، تكبير له على منتهى هدايته وإنعامه ؛ فينبغي على المسلم أن يعتني بهذا التكبير من غروب الشمس ليلة العيد إلى صلاة العيد . وكان عليه الصلاة والسلام يخرج من بيته يوم العيد جاهرًا بالتكبير حتى يبدأ عليه الصلاة والسلام بالصلاة، وصلاة العيد نفسها كما تقدم فيها تكبيرات زوائد .

وأما صلاة العيد؛ فهذه صلاة عظيمة جليل شأنها ، وهي سنة مؤكدة ، ومن أهل العلم من قال بوجوبها وأن المرء يأثم بالتخلف عنها من غير عذر؛ فيحرص المسلم على حضور هذه الصلاة وشهودها بأجمل ما يكون من زينته وثيابه ، لكنه يتجنب من اللباس والزينة ما حرمه الله عليه ، عليه أن يحذر من أن يكون في زينته أو تجملته شيء حرمه الله سبحانه وتعالى عليه ، بل يأتي بزينته بجماله بطيب رائحته في غير معصية لله ، وقد يزين الشيطان للإنسان بعض الأمور فيزينها له أنه نوع من الجمال والزينة ، لكن لا زينة في معصية الله ، ولا جمال في معصية الله ، ولا جمال في مخالفة شرع الله سبحانه وتعالى .

وقد أمر كما جاء في الحديث بإخراج النساء والحیض وذوات الخدور يشهدن الصلاة يشهدن الخير ودعوة المسلمين كما جاء في الحديث قال: ((يَشْهَدُنُ الْحَيَّرَ وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ)) ؛ وانتبه لهذه الكلمة «الخير» فصلاة العيد والجمع الذي يكون في هذه الصلاة هذا خير عظيم ، والدعوة الجامعة التي تكون للمسلمين وهي تحيط بهم وتجمعهم وتتناولهم أجمعين ؛ يحرص المسلم على هذه الصلاة العظيمة المباركة التي هي من أعظم شعائر الله عز وجل في يوم العيد المبارك ، فيشهد هذه الصلاة ويسمع ما يكون بعد الصلاة من نصيح وبيان ووعظ وتذكير مما ينفعه الله سبحانه وتعالى به فيكون زادًا له في يوم عيده وفي سائر أيامه .

وكان من هديه عليه الصلاة والسلام قبل أن يخرج إلى صلاة العيد يتناول تميرات في بيته عليه الصلاة والسلام ثم يخرج ، ويخرج مكبرًا لله عز وجل «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله ، أكبر الله أكبر والله الحمد» . ويذهب لصلاة العيد من طريق ويرجع من طريق آخر . وليس لصلاة العيد نافلة قبلها ولا بعدها ، لكن إذا كانت صلاة العيد مقامة في المسجد -ليست في المصلى- وجاء صلى تحية المسجد ، لكن ليس هناك نافلة قبلية لصلاة العيد ولا نافلة أيضا بعدية بعد صلاة العيد .

فهذه ثلاث عبادات عظيمة تتعلق بخاتمة شهر رمضان ؛ التكبير ، وزكاة الفطر ، وصلاة العيد .

ومما ينبغي أن يحرص عليه المسلم في يوم العيد : إظهار الفرح والسرور والأنس بنعمة الله سبحانه وتعالى لكن لا يكون الفرح فيه مظهر من مظاهر المعصية لله فهذا لا يليق بالمسلم ؛ لا يليق بالمسلم أن يجعل فرحته في العيد فيها معصية لله سبحانه وتعالى ، يحذر من ذلك أشد الحذر ، بل يجعل فرحه في حدود المباح ، في حدود ما أذن الله سبحانه وتعالى وأباحه وأطلقه لعباده ؛ وهذا ينضبط بمراعاة السنة والتقيد بهدي النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

عندما يفرح المسلم بالعيد العظيم وبهجته الجميلة ينبغي أن لا يغيب عنه في العيد إخواناً له ؛ منهم من أقعده المرض واشتد عليه ، فلا ينسى إخوانه هؤلاء ، لا ينساهم على أقل حال من دعواته ، وإن تيسر له زيارتهم فهذا من أحسن ما يكون ، زيارتهم وإدخال السرور عليهم ومؤانستهم ، ولا ينسى إذا كان عيده في أمن وأمان أن إخواناً له يعيشون شدة الحرب ووطأة الفتن وعدم الأمن لا على مال ولا على عرض ولا على نفس ، في قلق وشدة ، فلا ينسى إخوانه على أقل حال من دعواته . والمسلمون أفراحهم واحدة وآلامهم واحدة كالجسد الواحد ، نسأل الله عز وجل أن يلطف بالمسلمين ، وأن يجنبهم الفتن ، وأن يحقن دماءهم ، وأن يعيدهم من شر الأشرار وكيد الكفار ، وأن يكبت عدوهم ، وأن يصلح ذات بينهم ، وأن يؤلف بين قلوبهم .

إذا كان ينعم يوم العيد بطيب الطعام وجميل الشراب وهنيئه فليذكر أن من إخوانه من يعيشون فقرًا مدقعًا وحاجة شديدة ومجاعات ، فيذكر نعمة الله سبحانه وتعالى عليه حامدًا شاكراً ويساعد إخوانه بما تيسر ، ولهذا أذكر هنا أن العيديات التي يُفرح بها كثير من الناس أولاده ينبغي أن توسّع ؛ يفرّح بها أولاده ، يفرّح بها الأيتام ، يفرّح بها الفقراء ، يفرّح بها العمال المحتاجين ، وتكون فرحة عامة وسرورا عاما وأنسا عاما ، الحلوى التي يقدمها وتُقدم وأحيانا تكون في بعض البيوت تتناثر من كثرتها ، وبعض بيوت الفقراء ما يجد الطفل حبة واحدة يأكلها من الحلوى ! فلما تتوسع النظرة والاهتمام ، ولهذا أحيانا بعض المحسنين لهم موقف جميل في فرحة العيد ؛ يشتري حلوى ويرسلها إلى القرى والأماكن الفقيرة فرحةً لهؤلاء وفرحة للصغار وبهجة لهم في هذا ، يرسل أكياسا عديدة للصغار والمحتاجين والأسر الفقيرة ، فهذه معاني جميلة وإشاعتها ونشرها في هذا العيد من أهم ما يكون .

نسأل الله عز وجل أن يتقبل منا أجمعين ، اللهم تقبل منا ، اللهم تقبل منا يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى أن تجعلنا ممن فاز بالرضوان وفاز بالغفران وفاز بالعتق من النيران يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام . نسأل الله عز وجل أن يختم لنا جميعاً شهر رمضان بالغفران والرحمة والعتق من النار ، ونسأل الله عز وجل أن يجعل عيدنا أجمعين سعيداً بهيا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والعافية والمعافة ، ونسأله جل وعلا أن يعيده علينا أجمعينا أعواما عديدة وأزمنة مديدة ونحن نعيش الأمن والإيمان والراحة والاطمئنان والعمل على طاعة الرحمن سبحانه وتعالى .

اللهم أصلح ذات بيننا ، وألف بين قلوبنا ، واهدنا سبل السلام ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور . اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، والموت راحة لنا من كل شر ، اللهم اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ، اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى ، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات . اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا .

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وآله وصحبه .

%%%%%%%%